

تعقيب

على ورقة الدكتور عودة أبو عودة وعنوانها: "صورة اللغة العربية في وسائل الإعلام والاتصال الأردنية"

د.خلود إبراهيم العموش

الجامعة الهاشمية

كان لتشكيل اللجنة الوطنية الأردنية للنهوض باللغة العربية، برئاسة أ.د عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ، وعضوية ثلثة مختارة من العاملين في خدمة اللغة العربية في الوطن الأردني ، أثرٌ كبير في بثّ روح وثّابة عالية في قضية العربية وأحوالها ومكانتها في الاستعمال ، ثم سبل النهوض بها نحو الأمل المنشود لها في واقع الحياة .

وكان من الطبيعي أن يكون " الإعلام " أحد أهم المحاور التي تعمل عليها اللجنة ، بل أن يكون مشروعها الأول نحو النهوض باللغة العربية في واقع الاستعمال؛ فالإعلام من أخطر السلطات التي تحكم حياتنا المعاصرة ، بل وتشكلها وتغيرها وتعيد بناءها من جديد؛ فالإعلام هو القاسم الأعظم بين شأننا السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي والديني والفكري ، وهو متصل بالأفراد جميعاً على اختلاف اهتماماتهم واختصاصاتهم وأعمارهم، وهو يمثل حالة من حالات الاستحواذ -شئنا أم أبينا- وهو خيار مستمر دائم للتعليم والتوجيه والتنقيف والترفيه وبناء الاختيارات، كما أنه يمتلك إمكانات هائلة ورحبة في التأثير وصناعة الأحداث وتوجيهها.

وقد مرت لغة الإعلام العربي بمراحل متباينة من الضعف والارتقاء والانكفاء ؛ فقد جاءت بدايات الصحافة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متعثرة في ص دورها وموادها وموضوعاتها، متعثرة في إنشائها وأساليبها ، ورافق ذلك وبعده موجة من حركة الترجمة والتعريب على صفحات الصحف جاءت متعثرة هي الأخرى.(1) ولكن لم يمض بعد ذلك ثلاثة عقود أو أكثر قليلاً حتى استقامت لغة الصحافة وصلب عودها أو كاد؛ فظهر الصحافيون الأدباء ومنهم: بطرس البستاني، وناصر اليازجي، والشدياق، وسليم البستاني، ويعقوب صروف، وفارس نمر، وإبراهيم اليازجي. وظهرت مجلات مرموقة ؛ كالمقتطف في بيروت ثم القاهرة، والهلال في القاهرة، ومجلة الضياء ، وغيرها. وكان الخط البياني للغة الصحافة العربية خطأ تصاعدياً حتى منتصف القرن العشرين ، ثم تنازلياً في النصف الثاني منه، وخاصة بعد عام 1960(2).

وكان وراء هذا الانزلاق والهبوط عوامل كثيرة، وانبثق عنه مظاهر وظواهر مختلفة؛ فقد وجدنا لغة الإعلام تشكو من الأساليب الهجينة ، ومن سيطرة الجملة الأجنبية على الجملة العربية . وكان ذلك متوقفاً كون صحافيي القرن التاسع عشر أدباء ولغويون ولبعضهم معاجم وكتب في الصرف والنحو و دواوين شعر، وصحافيي النصف الأول من القرن العشرين صحافيون وأدباء أو صحافيون متأدبون جاءوا الصحافة من طريق الأدب، أما صحافيي النصف الثاني من القرن العشرين فصحافيون فقط ، وصحافيون بعضهم محترف وبعضهم طارئ على المهنة أو ضيف عليها ، وربما كان ضيفاً ثقيلاً عليها . ويوم كانت الصحافة العربية تحاول الارتقاء بلغتها وضع إبراهيم

انظر : جوزيف الياس ، سلسلة مقالات بعنوان : "لغة الإعلام العربي " مجلة حوار العرب ، بيروت ، الأعداد : 21/أب و 23/تشرين
(1)الأول و 24/تشرين الثاني / السنة الثانية 2006 .

(2) نفسه .

اليازجي كتابه المعروف " لغة الجرائد " الذي طبع سنة 1903⁽¹⁾، وغرضه تقويم اعوجاج الأقلام على صفحات الصحف، أما اليوم في عصر ثورة الإعلام ، وتغير أشكاله ، وظهور ما يعرف بالإعلام الجديد؛ فقد ظهرت أصوات تصف الإعلام بأنه " برج بابل " (2) أو "حصان طروادة"⁽³⁾ الذي يمكن أن يكون أخطر عامل في إعادة العربية إلى ألقها في واقع الاستعمال ، وهذا المشروع الذي تقدم ورقة د. عودة أبو عودة عرضاً لمراحله وأفكاره وخطة إنجازه يأتي ضمن هذا المسعى ، وضمن هذا الإطار .

وفي العادة حين ينتهي المرء من مشروع ما - أي مشروع - فإنه ينظر إليه نظرة البناء الذي يبحث عن مواضع الاعوجاج أو الخلل أو الثغرات، يقوم بتقويمها وسدّها وتدقيقها ليكون البناء أكثر متانة وقوة ، وفي العادة أيضاً يبتعد هذا البناء قليلاً عن بنائه وهو يلقي هذه النظرة الفاحصة لتكون نظرته أشمل وأوضح وأكثر موضوعية، وهذا ما كنا نتوقعه من ورقة الدكتور عودة أبو عودة بعد أن انتهى وزملاؤه من هذا الجهد الكبير، لكن هذا ما لم نجده ، ولم تخرج الورقة عن كونها تلخيصاً أميناً وطويلاً جداً للعمل الذي أنجزته لجنة الرصد الإعلامي اللغوي المنبثقة عن اللجنة العليا للنهوض باللغة العربية ؛ فقد قدّم د. عودة مقدّمة لأصل المشروع ، ثم عرضاً لأبوابه ومفرداته المختلفة ، وسرداً لآلية العمل المتبعة في إنجاز المشروع ، خلوصاً إلى الإحصائيات ثم النتائج والتوصيات . وكنت أود لو أن د. عودة استطاع الخروج قليلاً من العمل ، وأن تكون ورقته خلاصة لنظرة البناء الكاشفة ، التي تجيب عن الأسئلة المعلقة والضرورية

(1) إبراهيم اليازجي ، لغة الجرائد، القاهرة، 1903.

(2) الموسى ، نهاد ، اللغة العربية في العصر الحديث ، قيم الثبوت وقوى التحول ، دار الشروق ، عمان ، ط1 ، 2007 ، ص 130 .

(3) علي ، نبيل ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 265 ، يناير ، 2001 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ص 379 .

من مثل: هل كنا سنقوم بهذا الأمر على النحو ذاته لو قيض لنا أن نقوم به ثانية؟ ولو كان سيختلف كيف كان سيختلف؟ ما هي العناصر التي غابت وكان ينبغي أن تحضر؟ ما الذي كان يجب إضافته؟ وغيرها من الأسئلة التي تحضر عادة بعد انتهائنا من أي مشروع.

وكنت أود أيضاً لو أن ورقه د. عودة أبو عودة اشتملت على ما يأتي:

أولاً: عرض موجز لمشروع الرصد الإعلامي اللغوي في وسائل الإعلام الأردنية والدراسة المنبثقة عنه التي صدرت في صيف هذا العام .

ثانياً: إضاءة كاشفة عن مواضع النجاح والإخفاق ، وكليهما ، لا ريب، له حضور في الدراسة.

ثالثاً: وصف للدراسة بين أفقين : أفق الإنجاز القريب المتمثل في الحدود والبنود التي اتفق عليها بين لجنة المشروع واللجنة الوطنية العليا للنهوض باللغة العربية ، و أفق الإنجاز البعيد المتمثل في رصد حركة الإعلام وحركة اللغة فيه ، ضمن حركة الأمة وبوصلة سيرها والتحديات المحيطة بها . وليس من نافلة القول إن هذا الوصف يقتضي رصد طرائق لغة الإعلام في التعبير عن قضايا الأمة والأخطار المحيطة بها ، وما يعتمورها من ضعف، وما يعترضها من تحديات . إن وصف لغة الإعلام يقتضي تحليل هذه اللغة، وتحليل الخطاب الإعلامي وفقاً للطرائق المتبعة في المدارس المختلفة لتحليل الخطاب، وهو تحليل قد يحيلنا إلى منهجيات التعبير والتفاعل الذي يمارسه إعلاميوننا في تعاملهم مع الأشياء والأشخاص والحركات والأحداث حولنا .

رابعاً: وصف الأساليب الجديدة والظواهر النصية الجديدة والمظاهر الاستعمالية التي أخذت تغطي على لغة الإعلام ، والتي قد تشكل ملمحاً يحتاج إلى وقوف، أو تشكيل خطر يحتاج إلى معالجة. وقد أوردت الدراسة بعض هذه الأساليب، وكنت أحب لو أن الدكتور أبو عودة توقف عندها ولفت الانتباه إليها باعتبارها من أهم ما كان يمكن أن تخرج به الدراسة .

خامساً: الإجابة عن سؤال : هل يختلف الإعلام الأردني ، بكل ما يمكن أن يشوب لغته من أخطاء أو أساليب أو ظواهر أو ملاحظات ، عن الإعلام العربي عموماً ؟ إذ لم تتوقف الورقة عند هذه الفكرة .

سادساً: أين يقف إعلامنا اليوم في لغته من مسيرة الإعلام الأردني عموماً منذ بدأت ؟ هل نشهد خطأً تنازلياً ؟ أم إننا نسير بالوتيرة نفسها؟

ثم ماذا بعد ؟

إن كان الإعلام بهذه الخطورة، وكانت اللغة أدواته ووعاءه، فإنه من الجدير البحث والاهتمام برصد لغة الإعلام ، ومحاولة تلمس ما طرأ عليها من تغير في التعابير والأساليب والظواهر، وما أخذ يعتريها من لحن ، وما طرأ عليها من ابتعاد عن معياري الصحة النحوية والمقبولية ، وليس من الخطأ أن نعترف أن مشروعنا لم يتجاوز معيار الصحة النحوية واللغوية، ولم يتطرق مطلقاً إلى معيار المقبولية أبداً . ثم من الجدير أيضاً أن يتبع ذلك تقديم رؤية حول كيفية الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام ، وهذا ما ندبت نفسها إليه لجنة مشروع الرصد الإعلامي اللغوي-مشكورة- في وسائل الإعلام الأردنية بأشكالها

المختلفة. لكن هذا المشروع ضمن الأفق الذي وضع فيه ، وضمن الإطار الذي أحاط به والغاية النبيلة التي تحرك بوصلته يبقى الخطوة الأولى ، ويبقى الدراسة الماسحة حسب. ولا بد أن يتبع بعدد من الخطوات ومن أبرزها- فيما نراه:-

1. فتح الباب واسعا أمام الباحثين والدارسين لقراءة نتائج هذه الدراسة وتحليلها وانبثاق عدد كبير من الدراسات عنها، ومنها:

- بحوث لغوية خالصة ، من مثل:

* أخطاء وسائل الإعلام الأردنية في ضوء مناهج تحليل الخطأ (Error Analysis)

* الأبنية الصرفية المستحدثة في لغة الإعلام الأردني.

* التراكيب النحوية المستحدثة في لغة الإعلام الأردني.

* لغة الإعلام الأردني بين التركيب والدلالة .

* الأخطاء السياقية في لغة الإعلام الأردني.

* لغة الإعلام اليوم : دراسة تقابلية بين وسائل الإعلام الأردنية ووسائل الإعلام العربية أو الغربية.

* مصادر الخطأ في الإعلام الأردني في ضوء مناهج تحليل الخطأ (Error Analysis)

* لغة الإعلام الأردني في ضوء علم اللغة التطبيقي.

* قراءة في لغة الإعلام الأردني في ضوء مناهج تحليل الخطاب.(Discourse Analysis)

* أساليب الارتقاء بلغة الإعلام الأردني في ضوء مناهج تحليل الخطاب
(Discourse Analysis)

وغيرها من الدراسات.

- **بحوث ودراسات إعلامية** تنفذها معاهد الإعلام وكليات الصحافة، بل ووسائل الإعلام لاستصفاء مجموعه عناوين للدورات التدريبية والورش العلمية في إعداد الإعلاميين لغويا، وتزويدهم بالخبرات اللازمة. وهذه البحوث والدراسات، وهذا الضرب من الاهتمام يفتحان نافذة للعمل العربي المشترك؛ فما رصد في وسائل الإعلام الأردنية ليس منحصرا فيها .

إنّ دراسة الظواهر الاستعمالية الطارئة على لغة الإعلام وتحليلها قد يفتحان الباب واسعا أمام البدائل التي تقربنا إلى الاستعمالات الصحيحة والمقبولة، وذلك شأن اللغويين ومجال عملهم، يساندتهم في ذلك نفرٌ من الإعلاميين الشجعان الذين يعملون على تعميم هذه الاستعمالات و إشاعتها .

كما أن هذه الدراسة قد تفتح الباب واسعا أمام دراسات طريفة تنتمي إلى حقل "علم اللغة الاجتماعي" وحقل "تحليل الخطاب"، و تتجلى هذه الدراسات في رصد الطرائق والأساليب التي يعبر بها الإعلاميون عن مادة إخبارية (ما) أو فكرة مقرونة بانتماءاتهم الحزبية أو الفكرية أو توجهاتهم أو غاياتهم؛ فيتحول الخبر شكلا ومضمونا إلى رسالة موجهة وفقا لكل ذلك؛ فيكون (القتيل) في خبر (ما) عند أحدهم شهيداً عند الآخر، ويكون (العدوان) عند أحدهم دفاعاً عن النفس عند آخر. ويكون (المقاوم) الذي يعمل على دفع الاحتلال عند أحدهم (إرهابياً) بكل المقاييس عند الآخر. وهي دراسات حيّة وشائقة، وتعمل على إعادة الرواء إلى درس اللغة ، وتجعله يرفل بالحياة، وهو ما

يجعلنا نتجاوز فكرة "الصحة النحوية" التي أشبعناها بحثاً إلى فكرتي: "المقبولية" و"التأثير" وهما من أهم أغراض درس اللغة كما نراه .

إن

الإعلام "محصلة لشعب المعرفة كلها"⁽¹⁾؛ فقد احتلت وسائل الإعلام "مكان الوالدين والمدرسين في نقل العلم والمعرفة إلى الأفراد"⁽²⁾ . وإذا كان الإعلام بالمستوى المطلوب لغة وأداءً يصبح مدرسة لتعليم اللغة في إطارها الحي ، ومن الضرورة "أن يتنبه رجال الإعلام إلى أنهم يخلقون الذوق اللغوي ، ويفرضون الصواب الذي قد يبدو في أول أمره ثقيلًا ، لكنه مع الوقت يصبح مقبولاً وشائعاً"⁽³⁾ . وإذا كان تقرير "الإعلام العربي حاضراً ومستقبلاً" الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، و صدر في تونس عام 1999، يعطي صورة قاتمة لواقع اللغة في الإعلام حين يصفه بقوله : "إن إعلامنا لم يرتفع إلى مستوى الرسالة المنوط بها تعميق وعي المواطن ، وإشراكه في التفاعل ، وإسهامه في البناء الجماعي ، وإن من أهم مآزقه المآزق الثقافي الذي يتمثل في كيف يصبح درعاً ضد ما يهدد هويتنا وقيمنا وتراثنا ، وعلى رأس هذا الأمر التهديد الذي يحيق باللغة باعتبارها وعاء الثقافة ، وأبرز مقومات الهوية ، والمعبر عن القيم "⁽⁴⁾ .و إذا كان بعض الدارسين قد رأى أن "العربية أتيت في

(1) بلبل ، نور الدين : الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام ، ضمن سلسلة كتاب الأمة ، قطر ، ط1 ، 2001 ص31 ..

(2) فاخوري ، محمود ، سلطان العربية في مضممار الإعلام ، مجلة ل ع ، دمشق ، المجلد 74/الجزء 3 ص 658

(3) ماكبرايد ، شون وآخرون ، أصوات متعددة وعالم واحد ص 75 .

(4) علي ، نبيل ، الثقافة العربية وعصر المعلومات ص 36 .

عدد من ثغورها وأهم هذه الثغور الإعلام⁽¹⁾ ، فإننا ننظر بعين أخرى يحدها أمل كبير وتفاؤل عميق مقرونا بمعول العمل ؛ إذ لا ينفع التفاؤل من غير عمل ، ولعلنا نعبر عن هذا التفاؤل باستحضارنا قصة من قصص الخيال العلمي كتبها الأديب الفرنسي (جول فيرن) مؤداها أن مجموعة من الباحثين المغامرين حفروا نفقاً باتجاه مركز الأرض ، وأنهم بلغوا ذلك المركز ثم غادروه بعد أن تركوا فيه عبارة باللغة العربية تخدم إنجازهم ، ولما سئل الأديب الفرنسي : لماذا اخترت أن تكون العبارة بالعربية ؟ قال : لأنها لغة المستقبل⁽²⁾ . وعسى أن يكون هذا المشروع ، وهذا الموسم الثقافي الذي يعرض منجزاته خطوة باتجاه ذلك المستقبل.

(1) بلبيل ، نور الدين : الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام ، ص 45.

(2) خسارة ، ممدوح ، قضايا لغوية معاصرة ، الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، دمشق ، ط1، 2003، ص 103